

الماء الثقيل

محمود سالم



الماء الثقيل

تأليف
محمود سالم



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبيث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٨٢٥ ٩

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٠.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.

جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

٧	من هم الشياطين الـ «١٣» ؟
٩	أبطال هذه القصة
١١	عصابات ... «الماء الثقيل»!
١٥	أفكارٌ مجنونةٌ في المطار!
١٩	حادثٌ غريبٌ في الطريقِ إلى المطار!
٢٥	سهرة ... على نهر السَّين!
٣١	«الخطَّة» على سطحِ الليلِ الهادئ!
٣٥	المغامرة ... تنتهي الليلة!

من هم الشياطين الـ «١٣»؟

إنهم ١٣ فتى وفتاة في مثل عمرك، كلُّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السَّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يره أحد، ولا يعرف حقيقته أحد. وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

- رقم «١»: «أحمد» من مصر.
- رقم «٢»: «عثمان» من السودان.
- رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.
- رقم «٤»: «هدى» من المغرب.
- رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.
- رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.
- رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.
- رقم «٨»: «فهد» من سوريا.
- رقم «٩»: «خالد» من الكويت.
- رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.
- رقم «١١»: «قيس» من السعودية.
- رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.
- رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.
- رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

عصابات ... «الماء الثقيل»!

قال رقم «صفر»: الآن. لقد عرفتم مهمّتكم، وهي مهمة ثقيلة، لكن، في نفس الوقت، تعني الدفاع عن بلادنا.

سكّت لحظةً، ثم سأل: هل لديكم أسئلة؟

قالت «إلهام» بسرعة: هل سيكون عميلنا من فرنسا هو المرجع؟

ردّ الزعيم: نعم؛ فلديه كل المعلومات!

سأل «عثمان»: هذه أول مرة نعتمد فيها اعتمادًا كاملاً على عميلٍ من عملائنا؛ فدائماً

كنا نلجأ إليهم عندما نحتاج!

قال رقم «صفر»: إن هذه مهمة خاصة!

سأل «أحمد»: هل هو مصدر المعلومات؟

أجاب رقم «صفر»: نعم. ومعه عملاء لنا في أمريكا أيضاً، كانت لديهم معلومات عن

هذا الاتفاق السري بين دولة معادية ومجموعة من عصابات العالم!

مرة أخرى سأل «أحمد»: هل هو عميلٌ قديم؟

انتظر رقم «صفر» لحظة قبل أن يقول: لا أستطيع أن أقول إنه عميلٌ قديم. لكنه

ليس جديداً في نفس الوقت!

ثم أضاف: إذا كنت تريد مزيداً من المعلومات عنه، فيمكن أن تلجأ إلى قسم المعلومات

في المقر السري، وسوف تجد ما تريد!

توقّف لحظة، ثم سأل: أرى أنك تهتم بالعميل أكثر من اهتمامك بالمغامرة!

أجاب «أحمد»: لأن المغامرة سوف تعتمد عليه كثيراً.

مرّت دقائق قبل أن يقول الزعيم: أعتقد أن عملاءنا موثوقٌ بهم تماماً، وإلا ما جاءتنا

هذه المعلومات.

ثم أضاف بعد قليل: ما لم تكن تفكر في اتجاه آخر!
ابتسم «أحمد» وقال: فقط، من أجل الحرص على خطواتنا!
قال رقم «صفر»: لا بأس. وأنا أوافقك، وأرجو أن تكون النتائج سليمة!
مرت دقائق، كان الشياطين يتابعون الحوار بين الزعيم و«أحمد» بكثير من الاهتمام؛ فهذه أول مرة يدور فيها هذا الحديث الطويل. قطع رقم «صفر» الصمت قائلاً: أظنكم تعرفون أن العملية سوف تتم وسط صخب اهتمام العالم بكأس كرة القدم، والبطولة العالمية؛ فقبل ذلك بعام، انشغلت الدنيا بكأس العالم. وسوف يستمر اهتمام الناس بهذه البطولة، بعد نهايتها ... ربما لعام آخر. ووسط هذا الاهتمام، يمكن أن تحدث أشياء كثيرة، ولاحظوا أن فرنسا ليست بعيدة عن إيطاليا؛ فحدودهما واحدة؛ ولذلك وقع الاختيار على فرنسا، حتى تتم العملية من خلالها؛ فسوف يكون زحف الفرنسيين كبيراً لحضور المباريات، ووسط الزحام، ينتقل «الماء الثقيل». ربما في حراسة المسئولين، دون أن يدري أحد شيئاً.

صمت لحظة ثم أضاف: إنني أعيد أشياء أعرف أنكم فكرتم فيها، فقط لأذكركم بها. وأنا في انتظار أسئلتكم مرة أخرى!

لم يسأل أحد من الشياطين؛ فقد كانوا يريدون الانصراف؛ فالعملية سوف تتم كما قال الزعيم خلال أسبوع. وهذا يعني أنهم في حاجة إلى الوقت، حتى لا تفوت العملية. كان الصمت يغطي المكان الفسيح؛ حيث عُقد الاجتماع في القاعة الكبرى، التي كانت غارقة في ضوء هادئ لا تلمع فيه سوى الخريطة الإلكترونية، التي انسحبت تفاصيلها الآن.

قطع رقم «صفر» صمت القاعة قائلاً: أتمنى لكم التوفيق!
وقبل أن ينصرف قال: وأتمنى ألا يكون ما تفكر فيه صحيحاً أيها العزيز «أحمد»!
ثم أخذت خطواته تتباعد، حتى اختفت تماماً ...

قالت «زبيدة» متسائلة: الزعيم لم يحدد مجموعة المغامرة!
رد «أحمد»: من المؤكد أننا سوف نعرف، عندما نصل إلى غرفنا!
أخذ الشياطين طريقهم إلى باب قاعة الاجتماعات، في اتجاه غرفهم شرق المقر السري.
كان «أحمد» يسير وبجواره «عثمان» الذي سأله: هل تظن أن ما نفكر فيه يمكن أن يحدث!
نظر له «أحمد» لحظة، ثم قال: إنه مجرد احتمال، وأرجو ألا يكون صحيحاً!
عندما دخل «أحمد» غرفته، كانت شاشة التلفزيون تحمل أسماء مجموعة المغامرة، وهي تضم «أحمد»، «باسم»، «قيس»، «فهد»، «مصباح». في نفس الوقت أعطى التلفزيون إشارة حمراء، تعني أن أحداً على الطرف الآخر.

رفع «أحمد» سماعة التليفون فجاء صوت «باسم» يسأل: متى نرحل؟
أجاب «أحمد»: بعد ربع ساعة!

وَضَعَ السماعة فاخترت الإشارة الحمراء. فَكَّرَ «أحمد» لحظةً ثم ضغطَ زِرًّا في جهاز التليفزيون فظهرت صورةُ المسئول في الأرشيف الخاصَّ بالمقرِّ السَّري، تحدَّثَ «أحمد» إليه تليفونيًّا يطلبُ معلوماتٍ عن عميل رقم «صفر» في باريس، مرَّت دقيقة، ثم جاء فيلمٌ تليفزيونيٌّ عن العميل.

بدأ بالبيانات الخاصة، الاسم، والسن، والمؤهلات ... ثم ظهرت صورته، كان عمره خمسةً وأربعين عامًا. قصير القامة. نحيل القوام. عيناه زرقاوان. شعره غزير. يبدو الدهاء في ملامحه ... كان الفيلم يصوِّر حياته في بيته، الذي لم يكن به أحدٌ سواه. البيت صغيرٌ أنيقٌ تميّزه مكتبةٌ عامرةٌ تبدأ من الصالة، وتمتدُّ حتى حجرة المكتب، فيبدو كأنه مخزنٌ للكتب. كان رقمه ٧٠ بين عملاء الزعيم، وكان اسمه «هربرت جليم هاي». أخذ «أحمد» يتأمل «هربرت» وهو يتحرَّك كعصفور، حركةً رشيقَةً دقيقة. قال في نفسه: إن ملامحه تُوحى بالكثير. لكنني أتمنى أن أكون مخطئًا ... لمعت لمبة حمراء في التليفون، فرفع السماعة بسرعة. جاء صوت «قيس» يقول: لقد تأخَّرت أيها الصديق!

نظر «أحمد» في الساعة الإلكترونية التي تظهر في أعلى شاشة التليفزيون، فعرف أنه تأخر فعلاً. ردَّ معتذرًا: سوف أكون عندكم حالًا!

وفي لحظات، كان قد جذبَ حقيقته السَّرية، ثم قفز خارجًا من الغرفة التي أغلقت بمجرد أن غادرها. أخذ طريقه إلى حيث المصعد، الذي هبط به ثلاثة طوابق تحت الأرض، وعندما غادره كانت بقية المجموعة تقف هناك، بجوار السيارة التي سوف ينطلقون بها. وعندما أصبح بينهم قال مبتسمًا: أعتذر؛ فقد أخذتني بعضُ البيانات التي كان من الضروري أن أعرفها. قفز الشياطين داخل السيارة، حيث جلس «قيس» إلى عجلة القيادة، فانطلقت بهم إلى خارج المقرِّ السَّري. كان الخروج من المقرِّ يتم من خلال سردابٍ طويل، يظل يرتفع شيئًا فشيئًا، وعندما يصل إلى البوابة يكون في مستوى سطح الأرض تمامًا، وهذا يعني أنه يرتفع بمقدار ثلاثة طوابق، هي التي يهبها المصعد. عندما اقتربت السيارة من البوابة الأخيرة كانت هناك جملةٌ مكتوبةٌ على شاشةٍ سَريّة، قرأ الشياطين عليها: نحن في انتظاركم!

ابتسم «أحمد» وقال: إنها رسالةٌ من «إلهام»!

قال «مصباح» لقد فاتتها هذه المغامرة، وكانت تتمنى أن تكون فيها!

قال «أحمد» مبتسمًا: أظن أنها ليست المغامرة الأخيرة!
كان الطريق ممتدًا أمامهم حتى نهاية البصر. شريطٌ أسفلتي أسود، يبدو كثعبانٍ عملاق يلتوي بين كلِّ مساحةٍ وأخرى، بين الرمال الصفراء، كان يبدو أن الشياطين مستغرقون في تفاصيل مغامرتهم.

لكن فجأةً قال «مصباح»: هل تظنون أن الدولة المعادية سوف تصنع مزيدًا من القنابل الذرية.

ردَّ «قيس»: بالتأكيد وإلا ما خرجنا في هذه المغامرة، وهي قد فُكِّرت في الحصول على الماء الثقيل!

مرةً أخرى سأل «مصباح»: وهل نحتاج إلى كل هذا العدد من القنابل الذرية، ومنطقتنا لا تحتمل؟!

ردَّ «أحمد»: إنه الإحساس بالخطر، والرغبة في التوسُّع!
ضحك «باسم» وقال: أي خطرٍ وأي توسُّع؟ إن المنطقة كلها تسعى إلى السلام، وهي تتجنَّب الحرب والخطر، فإن تم السلام، فسوف ينتهي التوترُ، وينتهي النزاع.
قال «فهد»: هذا إذا كان العدو جادًا فيه، لكنه كما ترى أنه يُحاول التخلُّص من أهله، وإلا فعليه أن يُعيد إلى أهل الأرض حقَّهم في أراضيهم!
قال «أحمد»: إن العدو لغزٌّ، لا يعرف أحدٌ حله!

ثم أضاف بعد لحظة: إنه لو استخدم القنابل الذرية، فسوف يكون هو الآخر في دائرة الخطر؛ فالمسافة كلها لا تحتمل المزيد من الأسلحة حتى السلاح التقليدي.
صمت لحظة، ثم أضاف شارداً: في بعض اللحظات، أتصوّر أن هناك من يلعب لعبةً كبرى لهدم العالم؛ فنحن نعرف ماذا حدث بعد قنبلة «هيروشيما» وآثارها التي لا تزال موجودةً حتى الآن ... برغم مرور خمسة وخمسين عامًا ... وهي تُعتبر قنبلةً بدائيةً؛ فهي أول قنبلة ذرية في العالم. ما بالنا الآن وقد تطوَّرت الأسلحة وأصبحت شيئاً مخيفاً؟ إن القوى العظمى نفسها تسعى إلى التصالح والبُعد عن الدمار؛ لأنه سوف يكون دماراً نهائياً.
سكت لحظة، ثم تساءل: أليست المسألة لغزاً؟ وكأنها مقولة «شمشون»: عليَّ وعلى أعدائي.

مرَّت دقائقٌ صمت، لم يكن يُسمَع خلالها سوى صوتٍ انطلاق السيارة، لكن فجأةً سأل «فهد»: أظن أن هذه ليست مغامرتنا؛ فهناك مسألةٌ أخرى!
ابتسم «أحمد»، وظهرت الدهشة على وجوه الآخرين.

أفكارٌ مجنونةٌ في المطار!

سأل «مصباح»: ماذا تعني؟

ردَّ «فهد»: إن الحوار الطويل الذي دار حول عميل رقم «صفر» بين الزعيم و«أحمد» يثير الانتباه، بالإضافة إلى أن الزعيم قال لـ «أحمد»: إذا كنت تُريد المزيد من المعلومات عن العميل فعليكَ بقِسْم المعلومات في المقر، أليست هذه مسألةً لافتةً للنظر!

ابتسم «أحمد» دون أن يُرد. في نفس الوقت قال «مصباح» الذي لاحظ الابتسامة: إن «أحمد» يبتسم، وهذا يعني وجود شيء، ويبدو أن «فهد» عنده حق! ردَّ «أحمد»: دُعونا من ذلك الآن؛ فهذه مجرد احتمالات، يمكن أن تكون صحيحة، ويمكن أن تكون خاطئة. المهم، هو مهمتنا الصعبة التي أمامنا.

صمّت لحظة، ثم أضاف: وحتى لا نعود إلى هذا الموضوع مرةً أخرى ألفتَ نظركم إلى ضرورة الحذر في التعامل مع «هربرت جليم هاي»، أو العميل رقم «٧٠»، أو عميل رقم «صفر» في باريس!

ظَهَرَت الدهشة على وجوه بقية المجموعة، وسأل «قيس» بسرعة: ماذا تعني؟

قبل أن ينطق «أحمد» كان «فهد» يقول: تمامًا كما تصوّرت! قال «أحمد»: ينبغي أن نُنهي هذا الحوار الآن، ودُعونا نوجّل مناقشته حتى نصل إلى هناك، وكما قلت، ينبغي أن نتعامل مع «هربرت» بحذر.

كاد «مصباح» ينطق إلا أن «أحمد» سبقه قائلاً: كما اتفقنا ... سوف نوجّل هذا الموضوع الآن، وعلينا أن نفكّر في مهمتنا الرئيسية!

مرّت لحظات، قبل أن يبدأ «أحمد» في طرح موضوع المغامرة الجديدة قال: كما ذكر رقم «صفر» أن «الماء الثقيل» الذي هو أهم عنصرٍ من عناصر صناعة القنبلة الذرية، قد

دخلت في ترويجه عصاباتُ العالم الكبرى، ورغم أن المتاجرة فيه محظورة؛ لأنها تخضع للحكومات، إلا أن هذه العصابات لا تخضع لأحد، ولا يهتمها سوى تحقيق مكاسبها؛ ولذلك لجأ العدو إلى هذه العصابات للحصول على كمية من الماء الثقيل، تكفي لصناعة قنبلتين ذريتين!

سأل «مصباح»: لماذا وهو يملك قنبلة ذرية؟
ردَّ «أحمد» هذه ليست قضيتنا. إن القضية هي كشف هذه العصابات من خلال عملية التهريب التي تتم عبر الأراضي الفرنسية إلى أحد الموانئ، ثم في البحر المتوسط حيث تكون إحدى بوارج العدو الحرسية في انتظار باخرة النقل.
توقف لحظة قبل أن يضيف: أنتم تذكرون أنه كانت لنا مغامرة سابقة في نفس القضية ... لكنها لم تكن أمام العصابات.
قال «باسم»: كانت مغامرة رائعة!
استمرَّ «أحمد»: إن دورنا الآن هو إرشاد السلطات الفرنسية إلى هذه العصابة، وينتهي دورنا عند هذا الحد!

سأل «مصباح»: إذن فسوف نتحرك من خلال معلوماتنا عن طريق «هربرت».
ردَّ «أحمد»: نعم.
انتظر لحظة ثم أضاف: نعم «هربرت جليم هاي».
قال اسم العميل، بطريقة توحى بشيء ما. لكنَّ أحدًا لم يُعلّق، فقد اتفقوا على أن تؤجّل مناقشة الموضوع حتى يحين وقته. كانت قد انقضت أكثر من ساعتين وكان هذا يعني أن الوصول إلى المطار قد أصبح وشيكًا ... تساءل «قيس» مبتسمًا: هل نطبق قاعدة السفر المتفق عليها!

قال «أحمد»: لا بأس؛ فالسفر وشريك السفر يمكن أن يقدمًا معلومات دون أن يدري أحد، مع ذلك فأظن أن المسألة لا تحتاج؛ لأن كل شيء مرسوم، ولأن حركة الأحداث سوف تكون في فرنسا!

بعد قليل ظهر المطار من بعيد. كانت هناك طائرة تبدو كعملاقٍ معلّق في الهواء تأخذ طريقها إلى الأرض. في نفس الوقت، وفي مكان آخر من المطار كانت طائرة أخرى تأخذ طريقها إلى الفضاء، فكان المنظر لافتًا للنظر. عندما دقّت الساعة الثانية ظهرًا كانت سيارة الشياطين تدخل مكان الانتظار، وبسرعة كانوا يغادرونها ويأخذون طريقهم إلى الصالة الداخلية، وكعادة «أحمد» اتجه إلى حيث سوق الكتب والصحف، أخذت عيناه تجريان على

عناوين الكتب المعروضة ثم توقَّفت عند كتاب، جذبَه عنوانُه، كان اسم الكتاب «صائد الجواسيس»، مدَّ يده وأخذه ثم قلبَ عدة صفحات، جرت عيناه عليها بسرعة، ثم اشتراه واشترى صحف اليوم، ثم لحق بالشياطين. كانت بقية المجموعة تقف أمام باب الدخول في صالة السفر، كانت هناك نصف ساعة قبل أن يحلَّ موعدُ إقلاع الطائرة إلى باريس. غير أن الوقت انقضى بسرعة، وجاء صوتُ مذيعةِ المطار تدعو المسافرين إلى باريس للتوجُّه إلى الطائرة. غير أن «أحمد» صاح فجأة: لن نسافر إلى باريس!

نظرَ له الشياطين في دهشة، حتى إن أحداً منهم لم ينطق بكلمة. نظر «أحمد» إلى وجوههم مبتسمًا، ثم قال: يجب أن نبدأ من هنا!

سأل «فهد»: إن البداية هي السفر إلى باريس، وليس إلى أي مكانٍ آخر؟

وقال «باسم»: ماذا تعني بهذا التصرُّف؟

كان صوت مذيعة المطار يتردَّد مرةً أخرى. لكن «أحمد» قال: سوف نسافر إلى روما أولاً ... ثم نتجه من هناك إلى باريس!

تساءل «مصباح»: هل هي قضية «هربرت»؟

ردَّ «أحمد»: نعم، إننا يجب أن نكون حذرين من البداية!

ثم أضاف بسرعة: إن هناك طائرةً سوف تتجه إلى روما بعد نصف ساعة، ولا بأس أن نحاول إيجاد مقاعد لنا!

قال قيس: أعتقد أنه من الصعب العثور على مقعد الآن، في هذا الوقت المزدحم بالمسافرين لمشاهدة مباريات كأس العالم!

ردَّ «أحمد»: علينا أن نحاول حتى لو اقتضى الأمرُ أن نسافر إلى «مدريد»، أو أي عاصمةٍ أوروبيةٍ أخرى، قبل أن نصل إلى باريس!

كانت الفكرة ذكيةً تمامًا، وهي أن يتحقق هدف «أحمد» من العملية الأخرى؛ ولذلك أسرع الشياطين إلى مكاتب الطيران الموجودة في المطار، كلُّ يبحث عن مقاعد للمجموعة. مرَّت ثلثُ ساعةٍ وظهر «قيس» يقول: لا تُوجد مقاعد إلى روما، ولكن يُوجد مقعدان فقط إلى مدريد!

ردَّ «أحمد» بسرعة: إذن فليسافر اثنان إلى «مدريد». إن هذه فكرةٌ جيدة، والظروف الصعبة تساعدنا أكثر!

أسرعَ «قيس» وحجز المَقْعَدَيْن، له ولا «مصباح». بعد دقائق ظهر «فهد» ليقول: هناك مقعدٌ واحدٌ إلى «بون».

ردّ «أحمد»: لا بأس. سافر أنت إلى «بون»!
ثم أضاف: سوف تختلف مواعيد الوصول إلى باريس. وأنتم تعرفون مقرّنا هناك في شارع «سان ميشيل»، من يصل إلى باريس يتوجه إلى المقر، فقط لا نريد أن نتصل بعميل رقم «صفر» قبل أن نجتمع مرةً أخرى.
وأضاف بعد لحظة: إلى اللقاء إذن!
انصّرف «مصباح» و«قيس» وخلفهما مباشرةً انصرف «فهد» هو الآخر، وبقي «أحمد» و«باسم». نظر «باسم» إليه وقال: هذه فكرةٌ مجنونة، لكنها رائعةٌ في نفس الوقت!
ابتسم «أحمد» وقال: الحقيقة أنها خطرت لي فجأةً مع أنني لم أفكر فيها، ولم تكن في خاطري إطلاقاً!
ثم أضاف: لكنها تحقّق ما أفكر فيه.
ثم قال بعد لحظة: علينا أن نجد لنا طريقة، نرحل بها الليلة!
فجأةً قال: إن عندي فكرةً أخرى مجنونة!
نظر له «باسم» في دهشة ثم همّس: «أحمد» ماذا حدث؟ إن أفكارك مجنونةٌ تمامًا هذه المرة!
ضحك «أحمد» وقال: لا بأس؛ فالجنون فنون. ما دامت الفنون جنوناً، اسمع، ما رأيك لو طرنا إلى المغرب. إننا سوف نكون قريبين جدّاً، ومن هناك يمكن أن نتصرّف!
همز «باسم» رأسه قائلاً: أظن أننا لن نجد وسيلة مواصلات من المغرب؛ فأنت تعرف أن أشقائنا هناك مولعون بكرة القدم، وأظن أنهم سوف يزحفون إلى روما بأعدادٍ هائلة!
قال «أحمد»: لا بأس. مع ذلك، فهي فكرةٌ طيبة!
وبعد ساعةٍ كان «أحمد» و«باسم» يستقلّان الطائرة إلى «الدار البيضاء».

حادِثٌ غَرِيبٌ فِي الطَّرِيقِ إِلَى المَطَارِ!

عندما هبّطت الطائرةُ في مطار «الدار البيضاء» كان أوّل ما فعله «أحمد» أن أسرعَ إلى مكاتب شركات الطيران في المطار، يبحث عن تذاكر إلى باريس، وكانت المفاجأة أنه لم يجد. وقف ينظرُ إلى «باسم» الذي قال مبتسمًا: إن الأفكار المجنونة سوف تُعطّلنا كثيرًا!

ردّ «أحمد»: لا بأس. لكنها سوف تعطي نتائج طيبة!

سأل «باسم»: ما الذي نفعله الآن؟

انتظر «أحمد» لحظةً قبل أن يقول: لقد تركنا اسمينا على قائمة الانتظار في كلّ شركات الطيران، وعلينا أن نبقى في المطار؛ فقد تحدّث مفاجأةً ويتخلّف أحدٌ عن السفر! ألقي نظرةً على ورقةٍ في يده، تحمل مواعيد إقلاع الطائرات من مطار «الدار البيضاء»، قال في نفسه: يجب ألا نفقد الأمل.

كان «باسم» يتأمل وجه «أحمد» المستغرق في التفكير. كان هو الآخر يفكّر: لو أن الظروف عاكستهما، فلم يجدا طائرةً واحدةً لعدة أيام، ماذا يمكن أن يحدث؟

نظر له «أحمد» مبتسمًا، ثم قال: لا تفقد الأمل. إننا نتصرّف بشكلٍ طيب.

قال «باسم»: أرجو أن تكون النتائج طيبةً أيضًا!

كان الوقت يمرّ، وهما في انتظار أن يسمعا صوتَ مذيعة المطار، تُعلن اسميهما، لكن ذلك لم يحدث. قال «أحمد»: هيّا نشرب شيئًا!

اتجها إلى كافيتريا المطار وطلّبا شايًا، كان هناك بعض المسافرين، أخذ «أحمد» يتأمّل الموجودين، ابتسم بينه وبين نفسه، وفكر: هل يتحدّث إلى أحدهم، ويطلبُ منه التنازل عن تذكرة سفره؟!

كانت فكرة غير معقولة. لكنه كان يُقَلِّبُ كُلَّ الأمور في خاطره. فجأة، حدث ما لم يتوقعه، خصوصاً بعد أن فقد الأمل في السفر اليوم، كانت المفاجأة أن سمع «أحمد» اسمه يتردد من خلال ميكرفون المطار، نظر له «باسم» وسأل في دهشة: هل تسمع؟ قال «أحمد» هامساً: نعم، هل تكون المعجزة قد حدثت، وتجد تذكرتي سفر! قال «باسم»: من يدري؟ ما دُمت لم تفقد الأمل! قفز الاثنان من مقعديهما، وأسرعاً إلى غرفة الميكروفون، قالت المذيعة: شركة الطيران الفرنسية تطلبك!

أسرعاً إلى حيث مكتب الطيران الفرنسي، وهناك عرفا أن مسافراً قد تخلف وأن أحدهما يستطيع السفر، نظرا إلى بعضهما، وقال «باسم» بسرعة: فيم تفكر؟ عليك بالسفر حالاً، وسوف ألحق بك.

ثم ابتسم مضيئاً: إلا إذا كنت تتصور أنني لن أستطيع التصرف! شدَّ «أحمد» على يدي «باسم» وهو يقول: الشياطين يعرفون جيداً كيف يتصرفون. انتظر لحظة ثم أضاف: إذا حدث أي شيء، فسوف أترك لك رسالة شفرية في المقر. ثم انصرف مسرعاً إلى حيث باب الدخول إلى صالة السفر، وظل «باسم» يرقبه وهو يختفي؛ فعليه الآن أن يبحث عن وسيلة حتى يلحق بالشياطين.

عندما استقرَّ «أحمد» في مقعده داخل الطائرة كانت المقاعد كلها مشغولة. كان يتملّكه شعورٌ حزينٌ وهو يترك «باسم» وحده، ورغم أنه ظل يُحاول أن يمنع هذا الشعور، إلا أنه ظل يملأ أعماقه؛ فالشياطين دائماً يتحركون كفردٍ واحد.

قال «أحمد» في نفسه: هذه الأفكار المجنونة الملعونة هي السبب! لكنه ردَّ على نفسه: إنها أفكارٌ طيبة. وهكذا ينبغي أن يفكر الشياطين.

حلقت الطائرة في الفضاء في طريقها إلى باريس، فكر «أحمد»: هل وصل «فهد» من «بون»، وهل وصل «مصباح» و«قيس» من مدريد، إن كانت الطائرات سوف تكون مُيسرةً لهم في هذا الوقت بالذات، والناس تزحف من كل مكان لمشاهدة مباريات كأس العالم؟

ألقي نظرة سريعة على مَنْ يجلس بجواره، كانت سيدةً في حدود الخمسين من عمرها، مستغرقةً في قراءة كتاب. جرى بعينيّه سريعاً فوق سطور الكتاب، فعرف أنه رواية. تذكر كتاب «صائد الجواسيس» الذي اشتراه. أخرج الكتاب، ثم استغرق وهو يقول لنفسه: إن هذا هو الحل الوحيد حتى أهرب من أفكاري ومشاعري.

مرَّ الوقت، وهو مُستغرقٌ في قراءة عالم الجواسيس المثير. ولم يُفِقْ إلا على صوت مذيعة الطائرة نُعلن قرب وصولهم إلى مطار «أورلي» في باريس، وأن على الركاب أن

حدثٌ غريبٌ في الطريقِ إلى المطار!

يربطوا الأحزمة. أغلق كتابه وربط الحزام، ثم ألقى نظرةً من نافذة الطائرة. كان الليلُ في الخارج يبدو كقطعةٍ من القטיפه السوداء وقد تناثرت فيها ثقبٌ قليلة. بعد قليل بدأت أضواء باريس تلمع، كانت كعقود الماس، تتلألأ، ثم أخذت الطائرة تهبط في مطار «أوري». عندما لمست عجلات الطائرة أرض المطار ارتجت الطائرة قليلاً، ثم استمرت في طريقها حتى توقفت. وفي دقائق، كان يأخذ طريقه للخروج خارج المطار، في منطقة انتظار السيارات. وجد سيارةً في انتظاره. أخرج مفاتيح، ثم فتح السيارة، وأخذ مكانه خلف عجلة القيادة. إن المعروف أن للشياطين سياراتٍ في كل مكانٍ من العالم. وعندما يصل أحدهم إلى مكان فدائماً السيارة في انتظاره، ودائماً عندما يخرج الشياطين في مغامرة يحملون المفاتيح الخاصة بمنطقة المغامرة، وإن كانوا في بعض الأحيان يستقلون تاكسيًا، إذا كانوا يريدون تنفيذ فكرةٍ ما.

أدار «أحمد» موتور السيارة، ثم ضغط زرَّ الراديو. فجأةً وصلت رسالة. مرحباً بك في باريس ... عرفَ أن الرسالة من عميل رقم «صفر»، «هربرت جليم هاي». ابتمس وهو يهمس: سوف نلتقي يا عزيزي «هربرت». ضغط زرَّ الراديو ورفع سماعة التليفون. تردد جرسٌ في الجانب الآخر. ظل يسمع الجرس. لكنَّ أحدًا لم يرد. قال في نفسه: هل لم يصل أحدٌ من الشياطين حتى هذه اللحظة؟

وضَعَ السماعة وبدأت أفكاره تجري في كل اتجاه. أخرج جهازًا صغيرًا من حقيبته، ثم ضغط زرًّا فيه، ولم تَمُض لحظة، حتى كان الجهاز يعطي إشارة حمراء متقطعة، ابتمس وأغلق الجهاز وهو يهمس لنفسه: الشياطين دائماً جاهزون.

فجأةً أعطى جهاز الاستقبال في الحقيبة إشارة. عرف أن هناك رسالة. أخرج الجهاز ووضعه بجواره على المقعد الآخر. فجأةً لمع ضوءٌ قويٌّ في الاتجاه المقابل فأغمض عينيه، وعندما فتحهما كانت السيارة في الاتجاه المقابل قد اختفت. انتظر لحظة، ثم ضغط زرًّا في الجهاز، فبدأ يسمع الرسالة. كانت رسالةً شفريةً تقول: «٢٧ - ٢٠ - ٤ - ٨ - ٩»، نقطة، «٨ - ٢٩ - ٢٧ - ٩»، نقطة، «٢٦ - ٤ - ٢٦»، نقطة، «١٠ - ٢٢»، نقطة، «٩ - ٢٨ - ٢٦ - ٣٠ - ١٤ - ٢٥»، نقطة. انتهت.

كان يُترجم الرسالة، وبعد أن انتهى ابتمس ابتماسةً عريضة؛ فقد عرف أن الشياطين ليسوا في المقر، وإنما هم يجلسون في مكانٍ عرفه من الرسالة. فجأةً لمع ضوءٌ قويٌّ يأتي من الخلف، لكنه انعكس على عينيه من مرآة السيارة، فاضطر أن يغمض عينيه، وينحرف بالسيارة إلى يمين الطريق؛ فقد فهم أن السيارة تأتي بسرعةٍ وتريد المرور. قال في نفسه:

إن السائق قد ارتكب خطأ فادحاً؛ لأن الطريق السريع خالٍ. ومن حسن الحظ أنه لم تكن هناك سيارة في يمين الطريق ... إذن لكانت هناك حادثة.

مرّت السيارة بجواره في سرعة رهيبية، ثم فجأة أطلقت دخاناً كثيفاً جعله لا يستطيع الرؤية. خرج عن الطريق بسيارته، ثم توقّف، فكّر: هل هذه مسألة مقصودة ... أو ... أنها مجرد مُصادفة، لكن، لماذا هذا الدخان الكثيف؟ ظلّ في مكانه لا يتحرك. مرة أخرى قال لنفسه: هل تكون هذه بدايةً لأعيب «هربرت جليم هاي»، وهل ما فكّر فيه صحيح؟

ظل مستغرقاً في تفكيره. لكنه بعد دقائق عاد بالسيارة مرة أخرى إلى الطريق. وظل متقدماً في أول حارة من الطريق؛ فهو يعرف أن اتساع الطريق مُقسّم إلى حارات، كل حارة لها سرعة معينة لا يتجاوزها السائق. وهو حريصٌ على اتباع الإرشادات؛ فأبى خطأً يمكن أن يتسبّب في كارثة.

فجأة مرة أخرى، لمع ضوءٌ قويٌّ في الاتجاه المقابل. كان الضوء مبهرًا جدًّا، حتى إنه حاول ألا ينظر في اتجاهه. لكن النور كان يغطّي السيارة تمامًا. قال في نفسه: هل أستدعي الشياطين فربما كانت هذه مسألة مقصودة؟ لكنه لم يفعل، ظل متقدماً بنفس سرعة الحارة التي يمشي فيها.

فكّر: لقد عرّف «هربرت» موعد وصولي عن طريق السيارة، ولو كنتُ ركبْتُ تاكسيًا ما عرّف أنني موجود. وهو يعرف أن الشياطين موجودون أيضًا. إن هذا خطأ وقعتُ فيه. ضغطتُ ببنزين السيارة، فاندفعت أكثر، ثم انتقلت إلى حارة أخرى. فجأة جاء ضوءٌ قويٌّ من الخلف مع ضوءٌ قويٌّ من الأمام، فهم أن هذه مسألة مقصودة، وأنها لا يمكن أن تكون صدفة. ضغطتُ زرًّا في تابلوه السيارة، فاندفع سائلٌ أخضر اللون يغطّي الزجاج الأمامي للسيارة، فيحجّب عنه الضوء تمامًا، ضغطتُ قدم البنزين، فاندفعت السيارة كالصاروخ، وانتقلت إلى حارة أخرى، لكن في نفس اللحظة كانت السيارة الخلفية قد أوشكت أن تصل إليه، انحرف بسرعة إلى الحارة المجاورة فمرّت السيارة الأخرى وكأنها سهمٌ انطلق من قوسه.

قال في نفسه: إنها محاولةٌ لمعركةٍ لا أعرف مصدرها لكنّي لن أدخلها الآن؛ فوقتُ المعركة لم يحن بعدُ.

ظل متقدماً في الطريق. كانت أضواء باريس قد بدأت تلمع؛ فمطار أورلي يقع خارج المدينة. قال في نفسه: لا أظن أن المطاردة سوف تستمر داخل باريس. والمهم الآن أن نصل إلى هناك قبل أن أدخل المعركة!

حدثٌ غريبٌ في الطريقِ إلى المطار!

ضغَطَ قَدَمَ البنزين أكثر، فكادت السيارة أن ترتفع عن الأرض لشدة سرعتها، في نفس الوقت لم تظهر سيارةٌ أخرى، دخل المدينة فأبطأ من سرعة السيارة، ها هي باريس عاصمة الفن والفكر والثقافة.

قال في نفسه: كم من الجرائم ... تُرتكب في هذا الليل الجميل!
ثم تردّد في خاطره سؤال: هل بدأت المغامرة الآن فعلاً، وهل «هربرت» طرفٌ فيها وليس مجرد مصدرٍ للمعلومات؟ ظل السؤال يتردّد في خاطره، بينما كان يأخذ طريقه إلى حيث يُوجد الشياطين.

سهرة ... على نهر السين!

كان الشياطين يجلسون في كافيتريا في شارع «الشانزلزيه» أضخم شوارع باريس. عندما ظهر «أحمد» في الباب وقفوا جميعًا.

ابتسم «أحمد» وهو يتقدم إليهم. لكن فجأة سأل «فهد»: أين «باسم»؟
جلس «أحمد»، وحكى لهم ما حدث. ثم أضاف في النهاية: أرجو ألا يتأخر!
أخذت الجميع حالة من الصمت قطعها «أحمد» مبتسمًا: لا بأس. لقد شعرتُ بالحزن أنا أيضًا عندما تركته وحده في مطار الدار البيضاء.
سكت لحظة ثم أضاف: ليس هذا هو المهم. إن المهم ما حدث بعد وصولي إلى مطار «أورلي» وأنا في الطريق إلى المدينة!

أخذ يحكي لهم ما حدث من السيارات التي ظهرت في الطريق. وعندما انتهى قال «قيس»: من المؤكد أنها مسألة مقصودة، ويبدو أن «هربرت» يريد أن يُخيفنا بها، وكأنه يرسل رسالة تُنذرنّا بأننا مكشوفون!

ردّ «مصباح»: إنني أستبعد ذلك تمامًا؛ فإذا كان «هربرت» كما يظن «أحمد»، فإنه لن يتصرف بهذه الطريقة؛ لأنها طريقة ساذجة تمامًا. إن المهم هو مرور شحنة «الماء الثقيل» وليس المهم هو تخويفنا.

كان «أحمد» ينظر إليه في اهتمام، فاستمر «مصباح»: وإذا عرف «هربرت» بوجودنا في باريس، فقد أضعنا عليه مفاجأة وصولنا السري!

قال «أحمد» هامسًا: هذا صحيح. وهو خطأ لا أغفره لنفسه.

قال «مصباح»: إذن، علينا أن نستفيد من الموقف، إن «هربرت» يعرف أن الشياطين الآن في باريس، ولكننا لا نريده أن يعرف من الموجود؛ لهذا يجب أن يذهب «أحمد» إلى المقر في شارع «سان ميشيل»، وعلينا أن نخفي، حتى اللحظة المناسبة. إن الاتصالات بيننا

سوف تكون مستمرة و«أحمد» سوف يلتقي مع «هربرت» وحده، ونحن نعرف التفاصيل بعدها. إن أحداً منا لم يتصل بـ «هربرت» حتى الآن، وعلينا أن نلحق «باسم» قبل أن يحدث خطأ جديداً.

سأل «أحمد»: هل ذهبتم إلى المقر؟

ردّ «مصباح»: لا. وقد قصدنا ذلك، حتى نجتمع ثم نقرّر. وقد عَرَفْنَا بوصول «فهد» من «بون» عن طريق جهاز الاتصال، الذي عرفتَ أنت أيضاً بوجودنا عن طريقه. وحتى إذا وصل «باسم» إلى المقر، وعَرَفَ «هربرت» بوجوده، إذن فإنكما، أنت و«باسم»، اللذان حضرتما لتنفيذ المغامرة!

ابتسم «أحمد» وقال: إنني موافق تماماً على هذه الأفكار. وأعرف أن «باسم» لن يقع في خطأ؛ فهو يعرف أننا نحاول أن نُضِلَّ «هربرت» حتى نتأكد! ثم أضاف: ينبغي أن أنصرف الآن. وأنتم، إلى أين ستذهبون؟ قال «قيس»: سوف ننزل في أحد فنادق المدينة!

قال «أحمد»: ينبغي أن يكون فندقاً بعيداً عن العيون! ثم وقف قائلاً: سأنصرف قبل أن يحدث شيء جديد. وسوف نكون على اتصال! ثم ودّعهم وانصرف. عندما وقف في شارع «الشانزلزيه» المتسع جداً ألقى نظرة بعيدة على قوس النصر، ثم قال لنفسه مبتسماً: أرجو أن نمرّ تحت القوس، كما فعل نابليون، بعد النصر!

ركب السيارة، ثم أخذ طريقه إلى شارع «سان ميشيل»، الذي لا يبعد كثيراً عن «الشانزلزيه». غادر السيارة، ثم دخل المقرّ. إن مقرّ الشياطين في باريس مجرد شقة عادية في عمارة. وكان مقصوداً أن يكون كذلك، حتى لا يلفت الأنظار. أما داخل الشقة، فقد كانت هناك كلُّ أجهزة الاتصال المطلوبة.

فتح «أحمد» الباب ودخل. توقّف لحظةً يتشَمَّ الهواء، فلم يجد رائحةً غريبة، أو مختلفة. الشقة هادئة. ويبدو أن أحداً لم يدخلها. قال في نفسه: إن «باسم» لم يصل بعد. وربما تكون وسيلة السفر معقدة الآن بالنسبة له.

فجأة شعر بدفع جهاز الاستقبال. عرف أنها رسالة. أخذ يستقبلها. كانت رسالةً شفريةً، تقول: «٢٣»، نقطة، ٨ - ٣٤ - ٦ - ٣، «نقطة»، ١٥ - ١٠ - ٢٢ - ١ - ١٠ - ٨، «نقطة»، ١٠ - ١٩ - ١٠ - ١١ - ١، «نقطة»، ٢٨ - ٢٨ - ٣٠ - ١٠ - ٢٥ - ١ - ٢٥، «نقطة»، ١٠ - ١٢ - ٤ - ٣، «نقطة»، ١٠ - ٢٨ - ٢٢، «نقطة»، ٩ - ١٠ - ١ - ٢٢ - ١٩، «نقطة»، ١٢ - ٣ - ١، «انتهى».

ابتسم وقال في نفسه: مسكين «باسم»، لقد هبّت الريح من حيث لم نظن. ألقى نظرة على جوانب الشقة. ثم وقف قليلاً يفكّر. قال في نفسه: أحتاج إلى حمامٍ دافئ الآن، لأفريق؛ فقد كان السفر مُتعباً، ثم أُجري اتصالي بعميل رقم «صفر».

أسرع إلى الحمام، وأخذ دشاً. فجأة، قال في نفسه: أحتاج إلى بعض الوقت لكي أعيّد حساباتي مع «هربرت»!

ملأ البانيو بالماء الدافئ. ثم تمدّد فيه. شَعر أنه يسترخي تماماً، وأنه يحتاج إلى النوم. ابتسم وقال: إنها فكرة ليست طيبة، ينبغي أن أتحرك بسرعة، حتى لا يضيع الوقت. قفز من «البانيو»، ثم ارتدى ثيابه. وَضَعَ بعض البارفان، فأحسّ بالانتعاش. تمطّى واستنشَق ملءَ رئتيه، ثم قال: الآن. إلى العمل.

رَفَعَ سَمَاعَةَ التليفون. مرّت لحظات، ثم جاء صوتٌ يقول: إنني لستُ في البيت الآن ... اترك رسالة، وراقم تليفونك، وسوف أتصل بك عندما أعود. شَرَدَ لحظةً، ثم قال في نفسه: إنه صوتٌ تسجيل. لا بأس.

ترك رسالة لـ «هربرت» وقال إنه في المقر، ولن يغادره؛ لأنه وحده. وضع السَمَاعَةَ وقال: من حسن الحظّ أن «باسم» لم يصل بعد.

فكّر لحظة، ثم أخذ يدقُّ أزرار جهاز الإرسال. كان يرسل رسالةً شفريةً إلى الشياطين. كانت الرسالة: «٢٢ - ١٧ - ٢٨»، نقطة، «٩ - ١٠ - ١٩ - ٢٧»، «نقطة»، «١٢ - ١٣ - ١، «نقطة»، «٢٧ - ٢٦»، «نقطة»، «١٠ - ٢٨ - ٣٠ - ١٠ - ٢٥ - ١ - ٢٥»، «نقطة»، «٢٢ - ٩ - ٦»، «نقطة»، «١٠ - ٢٦ - ٨ - ١٤ - ١٠ - ١ - ٢٥»، «انتهى».

عندما انتهت الرسالة، دقَّ جرس التليفون، وكان المتحدث «هربرت»، قال: أهلاً بك ... هل جئت وحدك؟

ردّ «أحمد»: نعم. وإذا كانت المغامرة تحتاج للآخرين، فسوف يصلون حالاً!

جاء صوتٌ «هربرت»: لا بأس. ماذا ستفعل؟

ردّ «أحمد»: إنني في انتظارك!

قال «هربرت»: إذن. دعني أدعوك لسهرة صغيرة، نتحدث خلالها.

دهش «أحمد» لهذه الدعوة. لكنه لم يرد؛ فقد انتظر «هربرت» أن يكمل كلامه ...

جاء صوتٌ «هربرت»: ما رأيك؟ ... إنني لم أسمع منك ترحيباً بالسهرة!

قال «أحمد» بسرعة: بالعكس. إن هذا يُسعدني جداً. فقط أنتظر ترتيباتك!

قال «هربرت»: إذن سأمرُّ عليك بعد ساعة. هل تكفي؟

ردَّ «أحمد»: بالتأكيد. وسوف أكون في انتظارك!
 وضع «هربرت» السمّاعة، فوضع «أحمد» السمّاعة، ثم شرد. كان يفكّر: ما سبب هذه الدعوة ... إنني سوف أكون وحدي. هل تعني هذه الدعوة شيئاً، وهل يمكن أن يكون «هربرت» قد دبّر شيئاً سوف ينفّذه الليلة؟
 كانت أسئلة كثيرة تدور في رأسه. في النهاية استقرّ رأيه على أن يرسل رسالة إلى الشياطين، يخبرهم بما تم. ويطلب منهم أن يكونوا خلفه؛ فإن أحداً لا يدري ماذا يمكن أن يحدث.

عندما انتهت الرسالة انتظر لحظة، فجاء الردّ يقول: إنهم ينزلون في فندق «المارتينز». وهو لا يبعد كثيراً عن المقر. ويقع في شارع جانبي. وإنهم سوف يكونون وراءه. وإنه قد لا يعرفهم؛ فقد قرّروا أن يلعبوا لعبة ما، وحتى لا ينكشفوا، ولا يراهم «هربرت».

ابتسم «أحمد» للرسالة، وقال في نفسه: إن الشياطين جاهزون دائماً لكل الاحتمالات. أخذ يجهّز نفسه للسهرة. لبس «بدلة» أنيقة، ثم أخذ يُعدُّ أسلحته، وضع بعض كُرات الدخان في جوريه، ومسدساً تحت إبطه، وخنجرًا مربوطًا على ساقه، ثم أخفى جهاز الشياطين الدقيق في جيبه الداخلي حتى يعرف الشياطين مكانه في أية لحظة. لقد أطلق «عثمان» اسم الشياطين على جهاز التوجيه الذي يحمله كلّ واحدٍ منهم؛ فهو يُعطي إشاراتٍ تحدد مكانَ حامله. وعندما يكون موجودًا في المنطقة التي تتسع دائرتها إلى ثلاثين كيلومترًا، فإن «جهاز الشياطين» يعطي إشارة. أما إذا لم يكن موجودًا، فإنه لا يرسل هذه الإشارات. عندما كان يضعُ الجهاز في جيبه الداخلي، تذكّر «عثمان». ابتسم وقال: كان يجب أن نسمّيهِ جهاز «عثمان». كانت الساعة قد مرّت، عندما نظر في ساعة يده. فجأةً جاءت رسالة. كانت من الشياطين. استقبلها، ثم ابتسم. كانوا يقولون في رسالتهم: لقد انتهت الساعة. انزل الآن.

غادر الشقة بسرعة وركب المصعد ثم هبط ثلاثة طوابق، حيث باب العمارة ... وما كاد يخطو خطوةً واحدةً خارج الباب حتى كانت سيارةٌ سوداءُ أنيقةٌ ماركة «بيجو» تقفُ أمامه، ثم يفتَحُ بابها. انحنى ينظر من بداخلها، فوجد «هربرت»، الذي كان يبتسم قائلاً: أهلاً ... أظن أنني لم أتأخّر.

ركب «أحمد» وهو يبتسم قائلاً: إنني أشكر لك هذه الدعوة؛ فقد كنتُ أشعر بالملل!
 ضحك «هربرت» بصوتٍ خافت، ثم سأل: هل تُحب مكاناً هادئاً. أو صاخباً؟!

سهرة ... على نهر السّين!

ابتسم «أحمد» وقال: إن ذلك يخضع لطبيعة الحديث بيننا!
ضحك «هربرت» مرةً أخرى، وقال: تعجبني جدًّا إجابتك الذكية.
ثم أضاف: إذن نذهب إلى مكانٍ هادئ، على نهر «السين»!
أخذت السيّارةُ طريقها. أما الشياطين، فإنهم لم يكونوا بعيدين عنهما في هذه اللحظة.

«الخطّة» على سطح الليل الهادئ!

كان المكان الذي ذهب إليه، عبارةً عن كازينو عائم، باخرة متوسطة الحجم تقطّع مسافةً في نهر السين، ثم تعودُ، خلال ثلاث ساعات.

عندما وقف «أحمد» أمام الباخرة قرأ اسمها: «الليل الهادئ». ابتسم. نظر إلى «هربرت» الذي قال: إنه ليلٌ هادئٌ فعلاً.

ثم أضاف بنفس الابتسامة: ولو أنه مشحونٌ بأشياء أخرى!

ابتسم «أحمد» وقال: أتمنى أن يكون مشحوناً فعلاً!

في نفس اللحظة اقترب شابان وفتاة. كانوا يتحدثون باللغة الفرنسية، وإن كانت لهجتُهم مختلفة.

قال «هربرت»: أظن أنهم بعضُ السياح. إن أغلبهم يفضلون هذا المكان؛ لأنه هادئٌ فعلاً!

ابتسم «أحمد» وقال: إنني أحسُّ هؤلاء الذين يجدون الوقتَ ليعيشوا حياتَهم الشابّة!

ضحك «هربرت» وقال، وهو يغادر مكانه: هيا بنا؛ فوقت الإبحار قد حان.

في نفس اللحظة أيضاً، تقدّم الثلاثة، بخطواتٍ أوسع، حتى تجاوزوا «هربرت»

و«أحمد»، ثم صعدوا إلى الباخرة بعد قليل، كانت الباخرة تتحرك من مكانها إلى عرض

النهر. كان «أحمد» لا يزال يقف عند مؤخرة الباخرة يتأمل الليل الهادئ. والأنوار الكثيرة

التي تُضيء شاطئ النهر.

قال «هربرت» مبتسماً: هل أعجبك المنظر؟!

ردَّ «أحمد» بهدوء: نعم. إنه منظرٌ ممتعٌ فعلاً!

ضحك «هربرت» ضحكةً صغيرة، وقال: لهذا يفضلُه المحبُّون!

عندما أصبحت الباخرة في عرض النهر، وأخذت الطريق إلى رحلتها، سألت «هربرت»: هل تحب الجلوس على السطح؟

قال «أحمد»: أفضل المكان المغلق الآن ... حتى ننتهي من مهمتنا. وربما استطعنا الصعود إلى السطح في طريق العودة!

تقدّم «هربرت» إلى الداخل، فتبعه «أحمد» كان هناك صالون صغير، فأشار إليه «هربرت»، وما إن جلسا حتى أشار إلى «الجرسون» وطلب مشروباً مثلاً. وعندما ابتعد «الجرسون» نظر «هربرت» إلى «أحمد» مبتسماً وقال: هل نبدأ العمل؟

ابتسم «أحمد» قائلاً: أظن ذلك أفضل، حتى أستطيع أن أستمتع بالرحلة! بسرعة، أخرج «هربرت» من جيبه الداخلي خريطة، ثم بسطها أمامه. نظر «أحمد» إلى الخريطة وأخذ يتأملها مستغرقاً. في نفس الوقت الذي كان فيه «هربرت» يتأمل «أحمد»، ولكن ذلك لم يمر على «أحمد»: فقد كان يلاحظ «هربرت» بطرف عينه. قال «هربرت»: هذه هي خطتهم.

ثم بدأ يشرح لـ «أحمد» كيف ستتم سيارة «الماء الثقيل»، قادمة من باريس إلى روما. إنها سوف تستغل فرصة زحام الطريق؛ فسوف يخرج كثير من الفرنسيين وغيرهم من فرنسا إلى إيطاليا، لمشاهدة مباريات كأس العالم. ولأن الطريق سوف يكون مزدحماً تماماً، خصوصاً وهناك هوة ركوب السيارات، فإن المرور سوف يكون سهلاً؛ لأن نقط التفتيش لن تكون دقيقة في تفتيشها. نظراً للضغط الشديد. وهذه مسألة طبيعية. سوف تمر السيارة من إمارة «موناكو» على الحدود الفرنسية الإيطالية. وسوف تتجه إلى روما، حتى تصل إلى ميناء «نابولي» هناك. سوف تكون إحدى السفن التجارية في انتظارها. وعندما تحملها سوف تُبحر بحمولتها من الماء الثقيل وسط بضائع أخرى إلى جزيرة «صقلية»، وهناك سوف تكون إحدى البوارج الحربية في انتظارها. وسوف تنتقل شحنة «الماء الثقيل» إلى البارجة التي تحرّسها بارجتان حربيتان وإحدى الغواصات، لتخرج إلى عرض البحر المتوسط، حيث المياه الدولية، وحيث لا يوجد تفتيش على أية باخرة أو غيرها.

كان «أحمد» يستمع إلى «هربرت» في تركيز شديد. وعندما توقّف «هربرت»، سأل «أحمد»: ما نوع سيارة الشحن؟

ردّ «هربرت»: مارسيدس خضراء اللون.

سأل «أحمد» مرة أخرى: ما رقمها؟

قال «هربرت»: هذه مسألة ليست هامة؛ فأرقام السيارة سوف تتغير بين كل مسافة وأخرى، حتى لا يعرفها أحد.

فكّر «أحمد» قليلاً ثم قال: إن مجرد عبور سيارة خضراء، لا يعني أنها هي السيارة المقصودة؛ فهناك عشرات غيرها، لها نفس اللون.

أجاب «هربرت»: هذا صحيح، ولكن موعد المرور هو الذي سوف يُحدّد السيارة. سأل «أحمد»: إذن، ما هو الموعد؟

ابتسم «هربرت» وقال: هذا ما لم أعرفه بعدُ، لكنني سوف أعرفه يقيناً عندما تتحرك السيارة.

ثم سأل هربرت: ما هي خطّتك إذن؟ مرّت لحظة، قبل أن يقول «أحمد»: أعتقد أنني في حاجة إلى عددٍ من الزملاء. وسوف أستدعيهم فوراً!

ثم ابتسم قائلاً: هل هناك معلومات أخرى؟ ابتسم «هربرت» هناك اسم السائق، ورقم موتور السيارة. انتظر لحظة، ثم قال: إن السائق يمكن أن يتغيّر في الطريق، لكن رقم موتور السيارة، فإنهم لن يستطيعوا تغييره إلا إذا غيّرُوا الموتر نفسه، وهذه مسألةٌ مستحيلة! هزّ «أحمد» رأسه، ثم قال: هذه ملاحظةٌ هامة!

ابتسم «هربرت» وقال متسائلاً: هل تحتفظ بالأرقام جيداً؟ ابتسم «أحمد» وأجاب: نعم.

قال «هربرت»: حتى لو كان الرقم كبيراً. ضحك «أحمد» ضحكةً خافتةً ثم قال: حتى لو كان عشرين! وقبل أن ينطق «هربرت» سأل «أحمد»: ألم تلاحظ أن الجرسونَ لم يقدّم لنا الطلبات بعدُ، برغم مرور الوقت!

ضحك «هربرت» وقال: أنت يقيظُ تماماً. أظن أنه لم يفعل ذلك؛ لأنه رآنا ونحن مستغرقان في الحديث؟

نظر «هربرت» حوله، ثم رفع يده، فأقبل «الجرسون» بالمثلّجات، وعندما وضعها أمامهما قال «هربرت»: لقد تأخّرت كثيراً.

ابتسم الجرسون وقال: خشيتُ أن أفسد انشغالكما بالحديث. ثم قدّم اعتذاره، وانصرف. وقبل أن يرفع «أحمد» زجاجة المشروب إلى فمه سأل: هل لدينا المزيد؟

ابتسم «هربرت» وقال: هذا كلّ ما عندي.

ثم ضحك، فقال «أحمد»: لا بأس. إن ما عندك رائعٌ تمامًا. فقط سوف أظل في انتظار الموعد.

قال «هربرت»: ومتى سوف يصل الزملاء، حتى تكون السيارة في انتظارهم؟
أجاب «أحمد»: أفضل أن أتركهم يتصرفون!
ثم وقف قائلاً: ما زلتُ لم أسمع رقم موتور السيارة!
ابتسم «هربرت» وقال: فعلاً ... لقد أخذنا الحديث بعيداً عنه.
ثم أخرج ورقة صغيرة، وبدأ يكتب الرقم عليها. كان الرقم مكوناً من ثمانية أعداد.
في نفس اللحظة كان «أحمد» يقرأ ما يكتبه «هربرت». وعندما انتهى، سأل: هل حفظته؟
ابتسم أحمد وقال: تستطيع أن تمحوه وسوف أعيده عليك.
أخذ «هربرت» يمحو الرقم بالقلم. إلا أن «أحمد» ابتسم، وهو يسحب الورقة الصغيرة.
ثم أخرج مسحوقاً من جيبه، ونثره فوق الورقة. فاخترق الرقم نهائياً، ثم ذكر الرقم لـ «هربرت» الذي نظر له دهشاً وهو يقول: هذا شيءٌ رائعٌ!
ابتسم «أحمد» وهو يقول: هكذا علّمنا الزعيم.
ثم أضاف: هل يمكن أن نصعد إلى السطح. أريد أن أستمتع بنهر السّين!
ابتسم «هربرت»، وقفز بقوامه الذي يُشبه العصفور، وصعداً معاً إلى السطح. وهناك،
كان نفس الشبان الثلاثة يجلسون وقد انهمكوا في الحديث. علّق «هربرت»: جلسة حب.
ابتسم «أحمد» وقال: هذا حقُّ الشباب!
لكنه كان يعرف من هؤلاء الشبان الثلاثة.

المغامرة ... تنتهي الليلة!

عاد «أحمد» من رحلة الكازينو العائم «الليل الهادئ»، وهو مشغولٌ تمامًا؛ فهذه المعلوماتُ التي عرفها من «هربرت» لا تعني شيئًا. ما دام موعدُ تحرُّك السيارة التي تحمل الماء الثقيل ليس تحت يده.

قال في نفسه، وهو يجلس في المقرِّ وحده: ماذا يقصد «هربرت» بذلك؟ وهل هو فعلاً لا يعرف الموعد؟ أم أنه يعرف ويريد أن يُضللنا؟ فجأةً بدأ جهاز الاستقبال يُسجِّل رسالة. عندما انتهى أخذ يقرأها. كانت الرسالة تقول: ما هي نتائج اللقاء؟ الشياطين.

فكر «أحمد» لحظة، ثم قال في نفسه: قد ينكشف وجودهم إذا أرسلتُ لهم رسالة؛ فمن يدري، ماذا يفعل «هربرت» معي الآن؟ قد أكون مراقبًا، وتُصبح هناك مشكلة ... فجأةً رن جرس الباب. انتظر لحظة ثم أخذ مسدسه واتجه إلى الباب. وقف لحظة، فجاءه صوتُ عرفه. كان الصوت يتحدث بلغة الشياطين التي لا يعرفها أحد. فتح الباب بسرعة فاندفعت فتاةٌ إلى الداخل. نظر لها لحظة، ثم غرق في الضحك؛ فقد خلعت الفتاةُ باروكة الشعر التي تضعها فوق رأسها وظهر «باسم».

قال: لقد وصلتُ منذ قليل، واتصلتُ بالشياطين، ثم اقترحتُ أن آتيك لنعرفَ ماذا حدث، خوفًا من المراقبة؛ ولهذا أيضًا، لبستُ هذه الثياب، حتى لا يكشفنا أحد.

قال «أحمد»: لقد تصرَّفتم تصرُّفًا جيدًا. ومنذ لحظاتٍ كنتُ أفكرُ كيف أخبركم بما عندي!

جلس الاثنان، وأحضر «أحمد» قلمًا وورقًا، ثم أخذ يرسمُ نفس الخريطة التي رآها مع «هربرت» ويشرح لـ «باسم» طريقة المرور. لكن «باسم» قطعَ كلام «أحمد» متسائلًا: متى تتحرَّك السيارة؟

نظر له «أحمد» لحظةً ثم قال: هذه هي القضية. إن «هربرت» لا يعرف حتى الآن متى تبدأ رحلة السيارة.

قال «باسم»: إذن، فكلُّ ما لدينا لا يساوي شيئاً.

ثم أضاف بسرعة: وكيف فكَّرتُ؟

قال «أحمد» بعد لحظة: فكَّرتُ أن نَظْلُ كما نحن. أنتم في مكان، وأنا في مكان. لكننا في نفس الوقت يجب أن نكون على اتصالٍ سريع، وقريب.

سأل «باسم»: كيف؟

أجاب «أحمد»: يجب أن تتبَّعوني من بعيد. وسوف أتحركُ إلى النقطة «س»، وهناك سوف أنتظر مرور السيارة. لو أن قائد السيارة اكتشف مكاني، فسوف أشكُّ في «هربرت»؛ لأنني سوف أحدِّد له النقطة، وساعتها سوف تكون لنا خطةٌ أخرى، ويكون «هربرت» قد كشف نفسه.

انتظر لحظةً فقال «باسم»: لا بأس.

ثم وقف مباشرة وهو يضع الباروكة فوق رأسه، وأضاف: سوف نكون قريبين منك ... دون حاجةٍ إلى أي اتصالاتٍ بيننا. يكفي أن نعرف من خلال «جهاز الشياطين» أنك تحركت.

ثم فتح الباب، وانصرف بسرعة. وقف «أحمد» لحظةً يبتسم. فكَّر: إن الشياطين يعرفون دائماً كيف يتصرَّفون. خلَع ملابس السهرة التي لم يكن قد خلَعها بعدُ، ثم ألقي نفسه على السرير. حاول أن ينام، لكنه لم يستطع. أخذ يُجري بعض التمارين النفسية، حتى استغرق في النوم، لكنه فجأةً أสติقظ على رنين جرس تليفون. رفع السماعة وكان المتحدث «هربرت» يقول: أعتذر عن الاتصال في مثل هذه الساعة، لكن الأمر ضروريُّ أن أتحدَّث إليك.

صمَّت لحظةً ثم أضاف: لقد تحركت السيارة منذ دقيقتين.

ثم سأل بسرعة: ماذا ستفعل؟

فكَّر «أحمد» بسرعة، ثم قال: سوف أكون في موقع النقطة «س».

فقال «هربرت»: أتمنى لك التوفيق.

وضَع «أحمد» السماعة، ثم قفز يُجهِّز أشياءه التي سوف يحتاجها داخل الحقيبة السرية. وفي لحظات، كان خارج المقر. فكَّر لحظة: هل يستقل سيارة الشياطين؟ إن ذلك سوف يكشفه.

قال في نفسه: إن ذلك سوف يؤكِّد ما أفكَّر فيه. إذا كان «هربرت» عميلًا لرقم «صفر» أو عميلًا مزدوجًا، بيننا وبين هذه العصابات. أُسرِعَ إلى سيارة الشياطين. وفي سرعة الصاروخ كان ينطلق خارجًا من باريس في اتجاه النقطة «س»، بين «باريس» و«موناكو». فكَّر «أحمد»: إن عربةَ النقل لن تكون لها سرعةُ سيارتي. ولا بد أن أصل هناك قبلها. كانت الساعةُ قد تجاوزتَ الثانيةَ صباحًا والطريق يكادُ يكونُ خاليًا من السيارات، أو المارَّة. نظر في عداد السرعة. كان المؤشِّرُ يشيرُ إلى رقم ٣٠٠. قال في نفسه: أحتاج إلى ساعتين للوصول إلى النقطة «س». بعد ساعة، جاءتَه رسالةٌ من الشياطين. كانت الرسالةُ تقول: نحن وراءك.

ابتسم وقال في نفسه: عظيم. إن كلَّ شيءٍ يتحرَّكُ في خطِّه المرسوم. لكنه فجأةً فكَّر: هل يُمْكِنُ أن يخدعه «هربرت»، ويكون وقتُ قيام السيارة قبل ذلك، أو يكون طريقها مختلفًا؟ فجأةً وجد مجموعةً من الرجال يقفون في منتصف الطريق، خلف سيارةٍ تقف بعَرَض الشارع. كانوا يظهرون كأشباحٍ من بعيد. خفض «أحمد» سرعة السيارة وقال في نفسه: هل تكونُ هذه أول جولة؟ وصل عند السيارة ثم وقف. اقترب أحدهم. كان يرتدي ثيابَ الشرطة. طلب منه رخصةَ السيارة، ورخصةَ القيادة. سأل «أحمد»: لماذا؟

ابتسم الرجلُ وهو يُشيرُ إليه أن ينزل. فكَّر «أحمد» لحظة، ثم نزل في حذر. قال له الشرطيُّ: أنت تتجاوز السرعة المقرَّرة!

ابتسم «أحمد» وقال: أنت لم تَرِنِي حتى تحكِّمَ هذا الحكم؟

ردَّ الشرطيُّ: إن الرادارَ قد رصدَ سرعتك!

فكر «أحمد» بسرعة: هل أستطيع أن أرى بطاقتكَ العسكرية؟

ابتسم الشرطيُّ وقال: هذه ليست مهمتك.

كان «أحمد» يفكِّر في الوقت الذي يَمُر. لكن فجأةً غمره ضوءٌ قويٌّ من الخلف. كان واضحًا أنه ضوءُ سيارة ... فكَّر بسرعة أن يأخذ بعضَ الوقت ليرى إن كانت السيارة سوف تمر، أو أنها سوف تقف. قال للشرطي: إنه من حقي أن أعرف إن كنتَ شرطياً رسمياً أم لا.

كانت السيارة قد اقتربت. فجأةً تحرَّكتَ السيارة التي تعترض الطريق، ومرت عربةُ نقل. نظر لها «أحمد» مأخوذاً. لقد كانت سيارة مرسيدس خضراء. فكَّر بسرعة: إن «هربرت» قد خدعني في موعد قيام السيارة. وهؤلاء أيضًا يمكن أن يُفسدوا المغامرة. فجأةً

لمعت أنوارُ أخرى، ثم اقتربت سيارةٌ صغيرة، ألقى «أحمد» عليها نظرة. كان يركبُها أربعةٌ من الرجال يبدو عليهم الكبر.

قال واحدٌ منهم: لا داعي للعطلة؛ فكأس العالم لا ينتظر أحداً!

ابتسم الشرطي وقال: إذن، الحقُّ به يا سيدي!

لكنَّ نظرةً واحدةً من «أحمد» كانت كافيةً لأن يعرف مَنْ هؤلاء الرجال. قال الشرطيُّ

مرةً أخرى: تفضّل يا سيدي!

إلا أن أحدهم قال: أرى أنكم تؤخّرون هذا الشاب.

قال «أحمد» بسرعة: هل أرى بطاقتك؟

أخرج الشرطيُّ بطاقةً وقَدّمها لـ «أحمد» مبتسماً وهو يقول: هل تكفيك هذه؟

أخذ «أحمد» البطاقة وقرأها. ثم قال: لا بأس. ما الذي تريده الآن؟!

قال الشرطيُّ: أن تبقى معنا حتى الصباح!

ألقى «أحمد» نظرةً سريعةً على المكان. كان هناك أربعةٌ جنودٍ آخرين. قال في نفسه:

إن الموقف معقّد الآن. ويجب أن أنصرف بسرعة وإلا انتهى كلُّ شيء. مدَّ يده بالبطاقة إلى

الشرطي الذي مدَّ يده ليأخذها. إلا أن «أحمد» كان قد جذب ذراع الشرطي بسرعة، ثم دار

به دورةً كاملةً وتركه فسقط على الأرض. في نفس اللحظة، كان الشياطين قد قفزوا من

سيارتهم واشتبكوا بسرعة مع بقية رجال الشرطة، وفي دقائق كانت المعركة قد انتهت.

قال «أحمد»: ينبغي أن نتخلّص منهم!

ردَّ «قيس»: القيود الحديدية.

وبسرعة ربطوهم بالقيود الحديدية، ثم حرّكوا سيارة الشرطة إلى جانب الطريق،

وقفزوا في سيارة الشياطين. كان «فهد» يجلس إلى عجلة القيادة، فرفع سرعة السيارة إلى

النهاية.

قال «أحمد»: لم تمرّ سيارةٌ غيرها!

سأل «قيس»: ماذا لو كان هؤلاء الرجال شرطةً حقيقية؟

ردَّ «أحمد»: لا أعتقد وإن كان لدينا عُذرنا.

ضغط زرّاً في تابلوه السيارة فانطلق شعاع. ارتدَّت بسرعة. وسجّلت شاشة الجهاز

خمسَ كيلومترات.

قال «أحمد»: إننا خلفهم مباشرةً وبيننا وبينهم خمسَ كيلومتراتٍ فقط.

مرّت دقائق. وظهّرت عربة النقل الخضراء.

قال «أحمد»: استعدُّوا؛ فقد يحدثُ عملٌ مجنون!

ضحك «فهد» وقال: إنها مغامرةُ الجنون!

ثم أعطى العربى إشاراتٍ ضوئية، تعني أن تقف. واستجابت العربى بسرعة، ثم وقفت على جانب الطريق. نظر الشياطين إلى بعضهم، وهمس «مصباح»: إن استجابة العربى لنا، يعني أنها لا تخشى شيئاً.

فجأةً كان طابورٌ من السيارات يقترب. أخذت سيارة الشياطين جانباً، ثم وقفت، ونزل الشياطين بسرعة. أخذ طابور السيارات يمر. كانت كلُّها سياراتٍ عادية. لكن بينها كانت عربى نقلٍ زرقاء اللون تتقدّم في هدوء. نظر لها «قيس» ولم يعلّق. في نفس الوقت، توقفت سيارة، وقال سائقها: هل لديكم مشاكل؟

ردّ «مصباح» بسرعة: لا شيء!

فانطلقت السيارة. اقترب «أحمد» و«باسم» من العربى المرسيدس الخضراء، أخرج «أحمد» بطاقته، رفعها في وجه السائق، الذي ابتسم قائلاً: لا بأس. ما الذي يمكن أن نفعله؟

كان هناك اثنان يجلسان بجواره، ولا يبدو على وجوه الجميع أثرٌ لشيء. فكّر «أحمد» بـ «سرعة»: ربما كانوا لا يعرفون طبيعة ما تحمّله السيارة!

نظر إلى الرجل، وقال: نريد الكشف على موتور العربى.

نظر له السائق لحظة، ثم انفجر في الضحك، وقال: هل أنت متأكدٌ من ذلك؟ ابتسم «أحمد» وقال: هناك عربى نقل مرسيدس خضراء، ارتكبت حادثاً ونحن نبحث عنها.

قال السائق: لا بأس. تفضل!

قفز إلى كابينة السيارة ثم رفع غطاء الموتور. في نفس اللحظة سأل «أحمد»: أين رقم الموتور؟

أرشده السائق إليه. قرأه بسرعة، ولم يكن هو الرقم الذي يبحث عنه. اعتذر للسائق، وشكره ثم انصرف، وعندما تحرّكت عربى النقل، نظر «أحمد» إلى الشياطين صامتاً. لكن فجأة، كان جهاز الاستقبال يسجّل رسالة، عندما قرأها «أحمد»، كانت من رقم «صفر» يقول فيها: «لقد تغيّرت السيارة.» ثم أعطى أوصافها ورقمها، ورقم موتورها. كانت سيارة نقلٍ عسكرية، وفي نهاية الرسالة قال رقم «صفر»: «لا بأس. أنمّوا المغامرة.» ثم أضاف في نهايتها: «وجهة نظر «أحمد» صحيحة، ويجب تحقيقها.»

نظر الشياطين إلى بعضهم، وقال «أحمد»: لا بأس، فلنغيّر النقطة «س»، وننتقل إلى النقطة «ك»، حتى لا يكشفنا «هربت».

وبسرعة، قفز الشياطين إلى السيارة، وانطلقوا لتكملة المغامرة.

